

يا عمال العالم، اتحدوا!



طريق البلشفية



عزالدين بن عثمان الحمدي

اغتيال الرفيق شكري بلعيد:

من المخاطر المهدفة إلى الكارثة

المهدفة

نشر في النشر البلشفي العربي

الفيروان، شباط 2013

1- لقد جسّد اغتيال الرفيق شكري بلعيد شهيد الحرية لحظة صدام طبقي عنيف ومأساوي، كان توقيعاً دموياً على فشل سياسة التوافق والتعايش السلمي بين القوى الديمقراطية الثورية ومن ورائها العمال والفلاحون والمهتمشون من جهة، وبين الرجعية الزيتية العميلة ومن ورائها كبار الملاكين العقاريين والكبرادورين والإمبراليّة من جهة أخرى.

سبق للقوى الشيوعيّة أن حدّرت وبينت مرّات عديدة استحالة التوافق والتعايش السلمي بين القوى الظلاميّة القروسطية العميلة والقوى الوطنية الثورية:

- «لا يمكن للإمبراليّة والطبقات الرجعيّة أن تحكّم بلداً أغلب جهاته مهمّشة منهوبة ومفقّرة، مئات الألوف من البشر محكوم عليهم بالبطالة المؤبّدة والتكدس في الأحياء «الشعبية» شبه القصدية، العمال يتعرّضون للاستغلال الرأسالي الوحشي وأغلبهم وقتي وعرضي ولا يتمتّع بالخدمات الاجتماعية ويمنع تحت طائلة الطرد من تكوين نقابة. أليس واضحاً أنّه لا يمكن إنشاء ديمقراطيّة سياسيّة في هذه الظروف؟ أتعتقدون حقّاً أنّ الإمبراليّة وحلفائها من البرجوازيّة العميلة وكبار الملاكين العقاريين يمكنهم أن يمنحوا الديمقراطيّة للشعب؟ الديمقراطيّة برنامج متكامل اقتصادي وسياسي يتضمّن القضاء على الهيمنة الإمبراليّة وتصفية الطبقات الرجعيّة المتحالفة معها.»

(من مقال الحديدي: «حول بعض التحولات التي تشهدها الحركة الشيوعيّة- في تونس بعد 14 جانفي»، ماي 2011)

- «هل يمكن تحقيق «أهداف الثورة» بالتحالف مع حركة النهضة التي أثبتت في الماضي وفي الحاضر سواء في تونس أو في شتى بلدان ما يسمى بالعالم الإسلامي بأنها قوى موعلة في الرجعيّة ولا تشكل سوى إحدى الخيارات الإمبراليّة والكبرادورية لتأييد وتقوية هيمنة الإمبراليّة والطبقات الرجعيّة، ألم تكن لكم تجربة مريرة مع هذه الحركة في «المجلس الوطني لحماية الثورة»..»

(مقال الحديدي، «حول ملتقى السبعة أحزاب بسيدي بوزيد أو جبهة السلم الطبقي والالتفاف على انتفاضة الشعب»، جوان 2011)

- «ونحن نسأل... ما هو المحتوى الطبقي لهذا التحالف والتوافق مع الحكومة المؤقتة والأحزاب «التجمعية» والنهضة؟ من تمثل هذه القوى؟ ماذا يمكن أن تكون محصلة التوافق بين الإمبريالية والبرجوازية المحلية الكمبرادورية والملاكين العقاريين من جهة وجماهير العمال والمهتمشين والفلاحين من جهة أخرى؟»
(مقال الحديدي: «حول أحداث اعتصام القصة 3 أو أزمة -الشرعية الوفاقية-»، جويلية 2011).

2- كان اغتيال الرفيق شكري بلعيد مأساويا وغادرا. لم تستخدم أسلحة متكافئة في المعركة. فمن ناحية لنا زعيم ديمقراطي عظيم منكشف تماما له برنامج ديمقراطي معادي للإمبريالية والطبقات الرجعية يدافع عنه بكل شراسة في وسائل الإعلام العلنية والرسمية والاجتماعات العامة ويفضح سياسة النهضة وحلفائها المعادية لمطالب الجماهير الشعبية في الحزب والأرض والحرية والكرامة الوطنية. وفي الجهة المقابلة ممارسة التشويه والتكفير والتحريض على العنف والتصفية الجسدية وتنظيم المليشيات وعصابات «المائة السود».*

كان من الواضح ومن الحتمي أن القوى الظلامية ستمتد، بل قد مرت فعلا، إلى سياسة التصفية الجسدية والاعتقالات السياسية ضد خصومها. هل استعدت القوى الديمقراطية لذلك؟ هل سعت لامتلاك الوسائل السياسية والتنظيمية لمجابهة عصابات «المائة السود»؟ هنا يمكن ضعف القوى الديمقراطية، وهنا تكمن خطورة الأوهام التوافقية مع الظلاميين العملاء، هنا تكمن خطورة الانحرافات الشرعية والقانونية للقوى الديمقراطية التي تنخر قوى ما يسمى باليسار بما في ذلك الرفيق الشهيد نفسه. كيف ينشط ويتحرك زعيم كبير مثل الرفيق شكري بلعيد وسط التهديدات الملموسة بالتصفية ووسط التحريض عليه من طرف رؤوس السلطة الرجعية الحاكمة ولا يوقر له حزبه أو الجبهة

الشعبية الحماية والحراسة الكافية؟ كيف يفقد الشعب ابنه البار بتلك السداجة أمام بيته من قبل مراقبين مأجورين؟

كانت القوى الشيوعية قد نبتت مرارا وتكرارا للمخاطر المحدقة:

- «لقد أرسى موسيليني دكتاتوريته الفاشية وأحكم سيطرته على الدولة والمجتمع بالتدرج والمناورة والخداع وتشتيت خصومه وقد استغرق ذلك بضع سنوات (على عكس النظام النازي). لم يكن يخوض جميع المعارك دفعة واحدة، كان يصفي الأحزاب المعارضة واحدا وراء واحد ويحطم المنظمات الجماهيرية أو يذبحها الواحدة تلو الأخرى. وقد أتقن أسلوب الخطاب المزوج حيث كانت كتابته الفاشية تمارس الاعتداء على الحريات الفردية والجماعية عن طريق العنف والتصفية الجسدية والمظاهرات المضادة وتكسير الإضرابات وكانت قيادة الحرب الفاشي تكذب تارة وتعتقد الاجتماعات الديمقراطية مع الأحزاب «الديمقراطية» تارة أخرى... وكانت أية معركة مهما كانت صغيرة يكسبها تقوي أكثر مشروعه الفاشي وتضعف القوى التقدمية والثورية. لذلك ينبغي على القوى الديمقراطية والوطنية الثورية والشيوعية لكي تنجح في التصدي للدكتاتورية الديتية الرجعية، أن تخوض جميع المعارك مهما بدت صغيرة بأقصى مايمكن من الجدية والتعبئة والتنسيق المشترك.»

(الحديدي، 2012-01-09)

- «على خلفية تزايد الاعتداءات الإرهابية الظلامية: الاعتداء على الطلبة والأساتذة بكلية الآداب متوبة وسوسة، العمل الإرهابي الذي طال فرقة أولاد المناجم وجرح مواطنة، مهاجمة المعتصمين وتهديدهم، الإعتداء على مناضلي حزب العمال بسوسة، مهاجمة مقر قناة نسمة، الاعتداءات التي حصلت بسجنان، الاعتداء بالعنف الشديد على كل من الإعلامي زياد كريشان وأستاذ العلوم السياسية حمادي الزديسي، الخ،

ندعو كافة القوى الديمقراطية والوطنية الثورية والشيعية إلى تكوين «ألوية الحرية» في كل مدينة وجامعة ومعهد، الخ، للدفاع عن الحقوق والحريات الفردية والجماعية ضد الاعتداءات الإرهابية الظلامية»

(الحديدي، 24 جانفي 2012)

- «إزاء الرفض الشعبي المتزايد للدكتاتورية الدينية الرجعية وافتضاح سياساتها المعادية للديمقراطية والمعتمة للهيمنة الإمبريالية وإزاء عزلتها السياسية وبدء تفكك تحالفها مع بعض القوى الليبرالية، من المتوقع أن تنتهج هذه الدكتاتورية الدينية الرجعية السياسة التالية:

- مواصلة الاعتداءات على الحريات الفردية والجماعية مع التركيز على إرهاب ولجم المثقفين والإعلاميين وتشويههم وذلك سيرا على خطى الزعيم الفاشي موسيليني

- عسكرة الحياة الاجتماعية والدينية عن طريق الملبشيات وتكثيف أعمال تكسير الإضرابات والمظاهرات لا بالبوليس الرسمي ولكن بالملبشيات الظلامية (كثائب موسيليني الفاشية) مع التكذيب المستمر وإنكار علاقة تلك الملبشيات بالحكومة أو بالحزب الحاكم والدعوة إلى إحداث عشرات «لجان التحقيق المستقلة» الوهمية التي لا تجتمع أبدا ولا تصدر أية تقارير.

- القيام بعدد المناورات لاستمالة بعض القوى الليبرالية ومحاوله شرائها ببعض المناصب الشكلية وذلك لفك العزلة عن الحكومة وزرع الوهم باحتمال نواياها «الديمقراطية»

- تركيز القمع وحملات التشويه ضد القوى الشيوعية والديمقراطية لضرب طلائع الرفض الشعبي ونواته الصلبة ضد سياساتها المعادية للديمقراطية والتحرر الوطني، ولا يستغرب لجوء الدكتاتورية الظلامية إلى فبركة قضايا متنوعة ضد عديد الزعماء والأحزاب «اليسارية» واتهامها بالتآمر على «الوطن» على غرار

هتلر الذي كان يتهم خصومه بالتآمر والعدالة. وقد دشّن بعد زعيم الحركة
الظلامية الرجعية هذا التمشي وبدأ يقوم بالتحضير الفكري والسياسي لهذا
التمشي بحديثه عن «العنف الثوري الستاليني» الذي يمارسه «اليسار» حسب
زعيمه.»

(مقال الحديدي: «الخطر المحدق وكيف نواجهه»، 13 أبريل 2012)

- «واهم من يتصوّر أن النهضة وأذناها في الترويكا سيسلمون السلطة سلميا
وعن طريق «انتخابات نزيهة». النهضة بصدد تركيز دكتاتوريتها الدموية وضمان
دوام سيطرتها على الدولة والمجتمع بقوة المليشيات وإرهاب الخصوم وإن لزم
الأمر بتدليس «الانتخابات». وستتمحور مناوراتها في الأشهر القادمة أساسا
حول 1. تزييع الإعلام والسيطرة عليه بالإرهاب والترغيب؛ 2. تشويه وقع
القوى الوطنية الثورية ومحاولاة عزلها؛ 3. ثم التفرغ لخوض معركة تكسير اتحاد
الشغل.»

(الحديدي، 24 أبريل 2012)

- «رغم دروس الانتفاضة وإفلاس سياساتها ما قبل «انتخابات» أكتوبر 2011
التي منحت السلطة على البارد لأعداء الجماهير ورغم تصاعد الاعتداءات
الإرهابية على الحريات الجماعية والفردية والنقابية والسياسية ورغم تبلور خطر
الدكتاتورية الدينية الإرهابية، لا تزال تنظيمات ما يسمى باليسار تمارس بنفس
القنوية الضيقة بل ولا زال بعضها يراهن على الفوز على أعداء الديمقراطية عن
طريق صندوق الاقتراع!!! الخوانجية ليسوا أغبياء مثلكم: سيارسون القمع
والإرهاب والتدليس للحفاظ على سلطتهم الدكتاتورية العميلة وتقويتها»

(الحديدي، 14 جوان 2012)

3- لقد حكمت الأوهام البرجوازية الصغيرة والإصلاحية القائلة بإمكانية التوفيق
بين الطبقات وبوجود دولة محايدة فوق الطبقات وبإمكانية تحقيق الديمقراطية في

ظل هيمنة الإمبريالية وكبار الملاكين العقاريين والبرجوازية الكبرادورية -على القوى الديمقراطية والوطنية بالعجز عن التصدي للدكتاتورية الدينية العملية. لقد تجلّى ذلك في السعي المحموم لتلك القوى جميعا ومنها الجبهة الشعبية للبحث عن التوافق السياسي، قبل انتخابات أكتوبر 2011 وبعدها، مع أعداء الجماهير الشعبية، مع قوى سياسية غير ديمقراطية أصلا.

أدت هذه السياسة إلى إعطاء المبادرة لقوى الرجعية الظلامية لممارسة الترهيب والترهيب، الانفراج والتأزيم، «الانفتاح» والانغلاق، القمع الدموي والتغاضي عن منابر النقد الكلامي، تبني المليشيات والعصابات الإرهابية والتنصل منها، تجويع الشعب والتصديق عليه- كلّ ذلك في إطار إستراتيجية مدروسة لأسلمة المجتمع والدولة وإخضاع الخصوم والتقدم الثابت نحو إرساء دكتاتورية قروسطية دينية عملية.

في المقابل اقتصر دور القوى الديمقراطية غالبا على التنديد بالبيانات وفي الحمص التلفزيونية والإذاعية وعلى السير في مؤخرة الاحتجاجات والانتفاضات الجماهيرية الباسلة ودعمها لا من أجل تطويرها سياسيا في أفق الإطاحة الثورية بالدكتاتورية الدينية العملية بل من أجل استثمارها لجرّ هذه الدكتاتورية للحوار و«التوافق على المرحلة الانتقالية».

جميع القوى الديمقراطية واليسارية لها برامج اقتصادية وسياسية وثقافية على الورق لكن ليس لأحد منها بما في ذلك الجبهة الشعبية خطة نضالية تطبق وتتقدم يوميا في اتجاه الإطاحة بالدكتاتورية الدينية العملية، خطة تعمل على تنقيف أوسع الجماهير وتعبئتها على قاعدة مطالبها اليومية. الجميع كان يعي بالهوة التي تفصل بين الوضع الموضوعي الثوري والمتفجّر وبين ضعف العامل الذاتي سياسيا وتنظييا.

في الجنازة المليونية العظيمة للرفيق الشهيد شكري بلعيد رفعت شعارات ثورية مثل «اليوم.. اليوم.. النهضة تطيح اليوم»، ماذا كان ردّ فعل الجبهة الشعبية

والقوى الديمقراطيّة والبرليّة المجتمعة يومها؟ «المناداة بتكوين حكومة إنقاذ»!!!
من سيكونها لكم؟ لماذا لم تكونوها يوم الجنازة بالذات، يوم أن هبت الجماهير
من شمال البلاد إلى جنوبها تطالب بإسقاط الحكومة الرجعيّة؟ كيف سيقع
تكوينها بعد تفويت فرصة 6-7-8 فيفري 2013؟

كانت القوى الشيوعيّة قد انتقدت ونهت مرارا من خطورة هذا التمشي:

- «ألم يقتنع بعد ممثلو أحزاب الجبهة الشعبيّة في «المجلس التأسيسي» برجعيّة
هذا المجلس الذي يشكّل في نفس الوقت إطارا وغطاءا لإرساء الدكتاتوريّة
الدينيّة العميلة؟ ألم يقتنعوا بعد بدوره التضليلي للجماهير وبتسميم وعيهم لمنعهم
من التضال الثوري من أجل انجاز التحرر الوطني والديمقراطي؟ هل مازالوا
يصرون على لعب دور شهود الزور في مسرحيّة ذبح الشعب و«أسلمة
المجتمع»؟ نطالب تلك الأحزاب بأن تعلن فوراً مقاطعتها لجلسات المجلس
المؤامرة وأن تعلن انخراطها الكلي في التضال الثوري من أجل إسقاط
الدكتاتوريّة الدينيّة العميلة»

(الحديدي، 18 أكتوبر 2012)

- «كفأكم أوهاما بأنّ تونس «متسامحة بطبعها» و«مدنية بطبعها» وغير ذلك من
الترهات.. تونس بلد شبه مستعمر لم يشهد في تاريخه ثورة ديمقراطيّة تحرره
اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا من المؤسسات شبه الإقطاعية ومن التبعية
الاستعمارية... لذلك فإن إرساء الدكتاتوريّة الدينيّة الظلاميّة والعميلة لعقود من
الزمن يشكل خطرا محققا له أساسه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ولا يمكن
التصدّي له إلا بالتضال العنيد صلب أوسع الجماهير وبالاعتاد على مطالها
الاقتصادية والاجتماعية وتجربتها الخاصة.»

(الحديدي، 12 نوفمبر 2012)

- «كما يتنت نضالات سليانة أنّ الطريق الوحيدة لهزم الخوانجية هي الالتحام بالجمهير الشعبىة وتطوير نضالاتها الثورية انطلاقا من مطالها وأهدافها الحقيقىة وهي رسالة جديدة للعديد من مدعى اليسارية والوطنىة والديمقراطىة بأن يكفوا عن أوهامهم الديمقراطوىة والانتخابىة في إطار الدولة العميلة وفي ظل هيمنة الإمبريالىة والبرجوازىة الكبرادورية وكبار الملاكين العقارىين.»

(مقال الحديدي: «دروس سليانة المناضلة»، 27 نوفمبر 2012)

- «تتكرر الانتفاضات الجهوىة (تطاوين، قفصة، سليانة، الخ.) وتبقى معزولة وتعجز الجبهة الشعبىة وسائر القوى الديمقراطىة والوطنىة الثورية على تطويرها وتعميمها لتصبح انتفاضة شعبىة على المستوى الوطنى ضدّ السىاسة الدكتاتورىة الدينىة العميلة. وتبين انتفاضة سليانة بهذا الخصوص ضرورة الإسراع بتركيز هياكل الجبهة الشعبىة في مختلف الولايات والمعتمديات وضرورة تنسيق التضالات مستقبلا بين مختلف القوى الديمقراطىة والنقاىة والوطنىة الثورية حتى تصبح تلك التضالات أكثر جاهرية وتكتسب طابعا سياسيا ووطنيا شاملا.»

(مقال الحديدي: «دروس سليانة المناضلة»، 27 نوفمبر 2012)

نشر لأول مرة في:

الحوار المتمدن، عدد 4001، 2013/2/12

